{إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}
بين النحويين والقراء

بقلم
د. جاسم الحاج جاسم
مدرس النحو والصرف والقراءات

الجامعة الإسلامية – بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد

فتُعَدّ القراءات القرآنية منهلاً لعوم الشريعة والعربية، ووعاءً زاخراً بالمعاني والألفاظ، ورافداً مهماً للدراسات اللغوية والنحوية، كيف لا ومنبعها القرآن الكريم، فلها الحظ الأوفر في الاستشهاد والاستدلال والترجيح، لذلك توجه علماؤنا الأجلاء من نحويين ومفسرين وفقهاء قدماء كانوا أو محدثين لإثراء هذا الجانب المهم في الشريعة الإسلامية السمحاء لما له من أثر في المجالات التي يتناولها الباحثون كلٌّ حسب اختصاصه.

وبحثنا هذا يتناول آية واحدة من كتاب الله عز وجل، ألا وهي الآية الثالثة والستون من سورة طه ﴿ إِنْ هَـذَانِ لَسَـاحِرَانِ﴾ بالشرح والدراسة وبيان وجوهها الإعرابية المتعددة لكثرة اختلاف القراءات في هذا الحرف، حتى وصل عدد قراءاتها إلى اثنتي عشرة قراءة، ولكل قراءة توجيه نحوي أو لغوي ذكره النحويون وعلماء القراءات، وكل هذه الوجوه موافقة لما جاء في لغة العرب، فقمت وبفضل الله بجمع هذه الوجوه وشرحها ودراستها، وذكر آراء النحويين، وبيان الرأي الراجح منها وبالأدلة النقلية والعقلية المناسبة واستوى البحث على قاعدة الردّ على الشبهات التي طالت القرآن الكريم وقراءاته، وإبطال أنّ هناك خطأً ولحناً في كتاب الله سبحانه وتعالى، تلك

الدعوى التي لوّح بها المستشرقون، ومَنْ سار على نهجهم مِمّنْ يريد الطعن في القرآن، وكذلك ردّ الأحاديث التي ذُكِرَتْ في بعض الكتب والمؤلفات من أنّ (عثمان وعائشة وسعيد بن جبير) (رضي الله عنهم أجمعين) ذكروا أنّ هناك خطأ وقع من الكتاب في فترة جمع المصاحف على مصحف واحد في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ﷺ) وبيّنا بطلان هذه الأحاديث شرعاً وعقلاً مستدلين بآراء عدد من علمائنا في هذا الباب على ما سيأتي الحديث عنه في هذا البحث إنْ شاء الله، ومن الله العون والتوفيق.

القراءات المتواترة

وهي أربع قراءات يمكن بيانها على النحو الآتي:

القراءة الأولى / ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ قرأ بها حفص وأبو حيوة وابن محيصن [1]، وهي القراءة الموافقة لرسم المصحف، والموجودة في مصاحفنا التي بين أيدينا، ورسم المصحف هو من الشروط المعتمدة في اختيار القراءة الصحيحة، فذكر النحويون أنّ هذا الحرف مشكل على أهل اللغة كونه يخرج على عدة تأويلات، أوّلها أنّ (إن) الخفيفة بمعنى (ما)، واللام التي في (لساحران) بمعنى (إلّا) فيكون

[1] ـ السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد /٤١٩، التبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي /٥٩٢، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني /١٥١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٢٠/٢

تقدير الآية: ما هذان إلّا ساحران، ودليل ذلك قراءة عبدالله بن مسعود (إنْ هذان إلّا ساحران) [٢]، وكذلك استدل مَنْ ذهب إلى هذا التقدير بقوله تعالى ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [٣]، أي: ما كلّ نفس إلّا عليها حافظ [٤].

وهذه القراءة قد سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب، والتقدير السابق هو الذي ذهب إليه الكوفيون، وقال مكي القيسي: (فأمّا مَنْ خفف (إنْ) فهي قراءة حسنة؛ لأنّه أصلح للإعراب ولم يخالف الخط) [٥]، وبيان ذلك أنّ مَن اختار هذه القراءة أراد أن يحتاط للإعراب، فخفّف (إنْ)، وتخفيفها يجعل الاسم بعدها مرفوعاً على الإبتداء؛ وذلك لأنّ الثقيلة تعمل لشبهها بالفعل فتنصب وترفع،فلمّا خُفِّفَتْ وزال الثقل منها ضعف عملها فأُهْمِلَتْ، فالذي يقرأ بالتخفيف يجتمع له صحة الإعراب وموافقة المصحف، وهو ما يجب أن تكون عليه القراءة.

القراءة الثانية / ﴿ إنَّ هَذانِ لساحِرانِ ﴾ بالتشديد في (إنّ) قرأ بها ابن عامر ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وأبو جعفر

---

[٢] - إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣٤٣/٢، ذكر أبو حيان أنّ قراءة عبدالله بن مسعود (إنْ ذان إلّا ساحران) البحر المحيط ٢٥٥/٦، ونسبها الفراء إلى أبي بن كعب: معاني القرآن ١٨٤/٢

[٣] - الطارق / آية ٤

[٤] - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه /٢٤٣

[٥] - مشكل إعراب القرآن ٦٩/٢-٧٠، وينظر تفسير القرطبي ٢١٦/١١

المدني، وخلف وأبو عبيد في اختيارهما، وهناك عدة أوجه لتخريج هذه القراءة وهي على النحو الآتي:

الوجه الأول/ أن يكون ذلك على لغة بني الحارث بن كعب، فهم يلفظون المثنى بالألف في الأحوال الثلاثة (الرفع والنصب والجر) وتُقَدّر الحركات على الألف،فيقولون: هذان أخواك، ورأيت أخواك، ومررتُ بأخواك، ويقولون: حضر رجلان، ورأيت رجلان، ومررت برجلان[٦]، وأدلة ذلك كثيرة في شعر العرب، ومنها قول الشاعر:

كأنّ صريف ناباه إذا ما أمَرَّهُما تَرَنُّمُ أخطبانِ [٧]

فالشاهد فيه قوله: ناباه، وهو مثنى (ناب) وهو مضاف إليه إلى (صريف)، وكان الأفصح والأشهر أن يقول: (نابيه) ؛ لأنّ سبيل المضاف إليه أن يُجَرَّ، والمثنى يكون مجروراً بالياء، وقد جاء هذا البيت على لغة بني الحارث بن كعب، وصريف الناب هو صوت الأسنان أو الأنياب، والأخطبان نوع من الطيور يسمى الأخطل والعرب تتشاءم منه.

[٦] ـ ينظر البيان في غريب إعراب القرآن لابن الإنباري ١٤٤/٢، الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ٨٣٦/٢

[٧] ـ لم ينسب هذا البيت لأحد من الشعراء: ينظر الصحاح (شقرق)، ولسان العرب (خطب وصرف)

وفيه شاهد آخر وهو (أخطبان) مثنى (أخطب)، وكان الأشهر أن يقول: أخطبين ؛ لأنّه مضاف إليه إلى (تَرَنُّم) والعلة فيه كالعلة في سابقه. وعلى لغة بني الحارث بن كعب قول الشاعر أيضاً [٨] :

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

الشاهد فيه قوله (أباها) الثالثة ؛ لأنّ (أباها) الأولى اسم (إنّ) منصوب وعلامة نصبه الألف لأنّه من الأسماء الستة و (أباها) معطوف على (أباها) الأولى، والمعطوف يتبع المعطوف عليه في الإعراب رفعاً ونصباً وجراً. أمّا (أباها) الثالثة فهي مضاف إليه إلى (أبا)، وكان الأشهر أن يقول (أبيها)، ولكنه جعله على لغة بني الحارث بن كعب في إلزام المثنى الألف في الأحوال الثلاثة. ومن الجدير بالذكر أنّ هذه ليست لغة بني الحارث بن كعب فحسب، بل هي لغة قبائل خثعم وزبيد وكنانة فيما روي عن الكسائي وأبي الخطاب،وكذلك هي لغة بني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة، وقال أبو زيد:سمعت من العرب مَنْ يقلب كلّ ياء ينفتح ما قبلها ألفاً [٩] . وفيه شاهد آخر، وهو قوله (غايتاها)، فهي مفعول به إلى (بلغا) وكان الأشهر أن يقول (غايتيها) ؛ لأنّ المثنى يُنْصَب بالياء، ولكن

[٨] ـ نِب البيت لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي ، الخزانة للبغدادي ٧/ ٤٥٥، الحجة في القراءات السبع / ٢٤٢، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ١/ ٥١

[٩] ـ ينظر البحر المحيط ٢٣٨/٦

الشاعر جعله على لغة مَنْ يجعل المثنى بالألف رفعاً ونصباً وجراً، والعلة فيه كالعلة في سابقه. ومنه قول الشاعر أيضاً [١٠]:

تَزَوّد مِنّا بين أُذناهُ ضَرْبةً دَعَتْهُ إلى هابي التراب عقيمُ

والشاهد فيه قوله (بين أُذناه) أراد (بين أذنيه)، ولكنّه جعله على لغة مَنْ يجعل المثنى بالألف في الأحوال الثلاثة.

الوجه الثاني / أن تكون (إنّ) بمعنى (نعم) ، وهناك أدلّة كثيرة على ذلك منها ما رواه الطبري في تفسيره من حديث عمير بن المتوكل قال: حدثنا محمد بن موسى النوغلي من ولد حارث بن عبد المطلب قال: حدثنا عمر الكوفي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) قال: لا أحصي كم سمعت رسول الله (ﷺ) على منبره يقول: إنّ الحمدُ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعينُهُ، ثم يقول: أنا أفصح قريش كلّها وأفصحها بعدي إبان بن سعيد بن العاص، فقال عمير:إعرابه عند أهل العربية في النحو (إنّ الحمدُ لله) النصب، إلّا أنّ العرب تجعل (إنّ) بمعنى (نعم) كأنّه أراد: نعم الحمدُ لله [١١]. ودليل آخر على مجيء (إنّ) بمعنى (نعم) هو حديث عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) عندما جاءه رجل فسأله أن يستحمله فلم يحمله فقال له: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال: إنّ

---

[١٠] - البيت لهوير الحارثي وهو من شواهد شرح المفصل لابن يعيش ١٢٨/٣، وينظر حجة أبي زرعة /٤٥٤، شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري / ٤٧

[١١] - تفسير الطبري ٢١٨/١١، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/٢

وراكبها، أي: نعم وراكبها [١٢]، وقد وردت (إنّ) في الشعر بمعنى (نعم) ومنه قول الشاعر [١٣]:

بَكَرَ العواذلُ في الصّبوح يَلُمْنَني وألومُهُنَّهْ

وَيَقُلْنَ شيبٌ قد علاكَ وقد كَبرْتَ فقلتُ إنَّهْ

والشاهد فيه قوله (إنَّهْ) وردت هنا بمعنى (نعم) والهاء المتصلة هي هاء السكت، ومنهم مَنْ يجعل (إنّه) عاملة، والهاء التي فيها ضمير يعود على الشيب، والسكون الذي على الهاء للضرورة الشعرية، فيكون خبر (إنّ) محذوفاً والتقدير: إنّه كذلك، وقد يكون التقدير: قد كان ما تقلْنَ [١٤]. وهذا الرأي فيه نظر، وبيان ذلك أنّ هذه الهاء هي هاء السكت، ودليل ذلك أنّ البيت الذي قبله نهايته (ألومُهُنَّهْ)، أراد (ألومُهُنَّ) بغير هاء.

وربَّ سائل يسأل: إنّ اللام لا تدخل على خبر المبتدأ على هذا الوجه، أي: إذا كانت (إنّ) بمعنى (نعم) فلا تقول: عمرو لقائمٌ. فالجواب على

---

[١٢] - البيان في غريب إعراب القرآن ١٤٥/٢، وينظر مغني اللبيب /٥٧، والذي كان مع عبدالله بن الزبير هو فضالة بن شريك بن سلمان الأسدي: ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣٨٩/٥

[١٣] - نسبه سيبويه لعبدالله بن قيس الرقيات: ينظر الكتاب ١٥١/٣، وينظر شرح المفصل ١٢٠/٣، الموضح في وجوه القراءات وعللها ٨٣٨/٢

[١٤] - ينظر الأمالي لابن الشجري ٣٢٢/١

ذلك أنّ دخول اللام على هذه الشاكلة قد ورد في كلام العرب، وأورد النحاة من ذلك قول الشاعر [١٥] :

خالي لأنت ومَنْ جريرٌ خالُهُ ينل العلاءَ ويُكْرِمُ الأخوالا

فالشاهد فيه قوله (خالي لأنت) يريد: خالي أنت، دخلت اللام على خبر المبتدأ، وهي زائدة عند النحويين وخاصة بالشعر. واللام التي في (لأنت) تحتمل أمرين: أحدهما أن يكون أراد (لخالي أنت) فأخّر اللام إلى الخبر ضرورة، والأمر الآخر أن يكون أراد: (لأنت خالي) فقدّم الخبر على المبتدأ وإنْ كانت فيه اللام ضرورة، فحكى أبو علي النحوي عن أبي الحسن الأخفش أنّه أجاز: إنّ زيداً وجهُهُ لَحَسَنٌ،فهذا عند ابن جني ضرورة [١٦].

الوجه الثالث/ هو جعل (إنّ) عاملة في المبتدأ والخبر، واسمها ضمير الشأن المحذوف، (الهاء) والتقدير: إنّه هذان لساحران، و(هذان لساحران) مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنّ). أو قد يكون على إضمار (الأمر أو الشأن)، أي: إنّ الأمر هذان لساحران، كما أضمر الشاعر (الأمر) في قوله [١٧] :

إنّ مَنْ لامَ في بني بنت حسّانَ ألُمْهُ و أَعْصِهِ في الخطوب

---

[١٥] - ينظر الخزانة ٣٢٣/١٠، الحجة في القراءات السبع / ٢٤٣، ولم يُعْرَف قائل هذا البيت

[١٦] - ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٣٧٨/١

[١٧] - البيت للأعشى ميمون بن قيس: ينظر ديوانه: ٢١٩، الكتاب ٧٢/٣

أراد: إنّ الأمرَ مَنْ لامَ، فأضمر اسم (إنّ). وكذلك أضمر الشاعر (الأمر) في قوله [١٨]:

ولكنَّ مَنْ لا يَلْقَ أمراً ينوبُهُ بِعُدَّتِهِ يَنْزِلْ به وهو أعزلُ

فالشاهد فيه قوله: ولكنّ مَنْ لا يلقَ، يريد: ولكنّ الأمرَ مَنْ لا يَلْقَ،فأضمر اسم (لكنّ) الذي هو أحد الحروف المشبهة بالفعل.

الوجه الرابع/ وهو الوجه الذي ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج، فجعل تقدير الآية: إنّ هذان لهما ساحران، أي: نعم هذان لهما ساحران،فقال في ذلك: (والذي عندي – والله أعلم – وكنت عرضتُهُ على عالِمَيْنا محمد بن يزيد وعلى إسماعيل ابن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه، وذكرا أنّه أجود ما سمعاه في هذا، وهو أنّ (إنّ) وقعت موقع (نعم)، وأنّ اللام وقعت موقعها، وأنّ المعنى: هذان لهما ساحران) [١٩]. فأراد الزجاج بهذا التقدير أن لا يخالف رسم المصحف الذي هو شرط من شروط القراءة الصحيحة، ومعنى ما ذهب إليه يجعل (هذان) مبتدأ أول، واللام في (لهما) داخلة على المبتدأ الثاني المضمر (هما) و (ساحران) خبر للمبتدأ الثاني،والجملة الاسمية خبر للمبتدأ الأول، ولمّا حُذِفَ المضمر (هما) انتقلت اللام إلى الخبر (لساحران)، هذا معنى ما ذكره الزجاج، وليس

[١٨] - البيت لأمية بن أبي الصلت : ديوانه /٤٦، وينظر الكتاب ٣/ ٧٢، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٩٥

[١٩] - معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ٣٦٣/٣

كما ذكره بعض النحويين وعلماء القراءات من أنّ الزجاج جعل (إنّ) عاملة وأضمر فيها الشأن والتقدير: إنّه، بل جعل الزجاج (إنّ) بمعنى (نعم) كما بيّنا ذلك في سطور سابقة، وهو ما ذكره الزجاج في معانيه والله أعلم [٢٠].

ولم يرتض أبو علي النحوي هذا المذهب، فذكر أنّ اللام للتأكيد،والتأكيد لا يليق فيه الحذف، وعلّل ذلك بأمرين: الأول رأى النحويون أنّ لام الابتداء تدخل على خبر المبتدأ في ضرورة الشعر فقط، والذي حمله النحويون للضرورة لا يمتنع من أن يستمر المعنى فيه، والثاني: أنّ التأكيد باللام لا يليق به الحذف، أي أنه لا يليق حذف(هما)، فالأوجه في الرتبة أن يتم الكلام ولا يُحْذَف ثم يؤكَّد، فأمّا أن يُحْذَف ثم يؤكَّد فليس باللائق في التقدير [٢١].

واعتراض أبي علي النحوي في محلّه، فإنّ في التقدير الذي ذهب إليه الزجاج تحميل المعنى أكثر مما يطيق، وقد ذكر النحويون أنّه كلّما قلّ الإضمار كان أولى وأيسر إلى طريق فهم المراد من السياق. ولكنّا مع الزجاج في عدم جواز مخالفة رسم المصحف، حتى أنّه لم يُجَوِّز قراءة عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء (إنّ هذين لساحران) فقال:(فأمّا قراءة عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء فلا

---

[٢٠] - أشار ابن أبي مريم إلى ذلك التقدير في كتابه الموضح وقد ذكرنا موضع الخطأ فيه: ينظر الموضح في وجوه القراءات ٨٣٩/٢

[٢١] - ينظر الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٤٢

أجيزها ؛ لأنّها خلاف المصحف، وكل ما وجدتُهُ إلى موافقة المصحف أقرب لم أُجزْ مخالفته ؛ لأنّ اتّباعه سُنّة وما عليه أكثر القراء) [٢٢].

الوجه الخامس / أنّه لمّا أراد جعل (هذا) على التثنية اجتمع ألفان:ألف (هذا) وألف التثنية، فوجب حذف أحدهما لالتقاء الساكنين، فَجُعِلَتْ ألف (هذا) هي الأصل وحُذِفَت ألف التثنية، والنون هنا لازم لا يسقط فصار بذلك دليل التثنية [٢٣] على هذا يكون دخول اللام أمراً حسناً كونها دخلت على خبر (إنّ). وفي هذا الوجه ضعف،من جهة أنّه لو كان كما ذكر لم تنقلب هذه الألف ياءً في حالة النصب فالألف في هذا لا تنقلب على حال؛ لأنّها كسائر أسماء التثنية،فمرةً تكون ألفاً، ومرة تكون ياءً، بمعنى أنّه لا فرق بين ألف هذا والألف التي في الأسماء المعربة عندما تُثَنّى فاسم الإشارة (هذا) وما أشبهه من الأسماء، فإنّما بُنِيَتْ لمشابهتها الحروف، فإذا تحولت إلى المثنى زال بالتثنية مشابهتها للحروف فأصبحت كسائر الأسماء المعربة ودليل أنّ هذه الألف للتثنية، أنّ التي كانت في الواحد قد حُذِفَتْ، كما حُذِفَتْ الياء من التي والذي إذا قلت: اللتان واللذان، فالياء التي في الاسم قد حُذِفَتْ، وجيء بالتي للتثنية، وهو ما ذهب إليه أبو علي النحوي واختاره [٢٤].

---

٢٢ - معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٤

٢٣ - ينظر مغني اللبيب ٧٧٧، الموضح في وجوه القراءات ٨٣٩/٢، حجة القراءات/٤٥٤

٢٤ - ينظر الحجة للقراء السبعة ١٤٣/٣

الوجه السادس / أن تكون الهاء في قوله (هـذان) منفصلة عنه ومرتبطة بـ(إنّ)، ولكنّها ليست للتنبيه فيكون التقدير: إنّها ذان لساحرانِ، فالهاء هنا ضمير القصة، أي: إنّ القصة ذان ساحران،فيكون الضمير اسماً لـ(إنّ)، و(ذان) مبتدأ و(لساحران) خبره، والجملة الاسمية (ذان لساحران) خبر (إنّ)، وحكم اللا هو نفسه الذي في الأوجه السابقة [٢٥]. وهذا الوجه ضعيف جداً من وجوه: أهمها أنّه مخالف لرسم المصحف، والأمر الآخر أنّ التقدير السابق هو الكتابة الصوتية للحرف، فإذا أردنا أن نلفظ هذا الحرف،فسيظهر لنا التركيب الصوتي الآتي (إنّها ذان لساحران)،والأمر الثالث أنّ هناك قراءات أخرى وقد حُذِفَ الهاء من (هذان)، ولكن لم يذكر أنّها متصلة بـ(إنّ) منها قراءة أبي بن كعب (إنْ ذان لساحران) ، وقراءة عبدالله بن مسعود (إنْ ذان إلّا ساحران) على جعل اللام بمعنى (إلّا) والله أعلم [٢٦].

الوجه السابع / وقيل في (هذان) أيضاً أنّه لمّا لم يظهر الإعراب في واحده وجمعه حُمِلَت التثنية على ذلك، أي ليكون المثنى كالمفرد، وهو فرع عليه، وقد تفطن إلى ذلك الفراء، وذكر أن الألف في (هذا) ليس بلام فعل وقد زيد عليها في التثنية نوناُ ثم تُركَت الألف ثابتة

---

[٢٥] - ينظر الموضح في وجوه القراءات وعللها ٨٤٠/٢

[٢٦] - تنظر القراءتان في البحر المحيط ٢٥٥/٦، تأويل مشكل القرآن /٥٢، مختصر بن خالويه / ٨٨

على حالها لا تزول كما قالت العرب (الذين) على الجمع وهي مفرد (الذي) فأبقوا الياء في رفعهم ونصبهم وجرّهم كما تكرا (هذان) في رفعه ونصبه وجرّه [٢٧].

واختار هذا القول أبو العباس أحمد بن تيمية، وعلّل اختياره هذا أنّ المفرد (ذا) لو جُعِلَ كسائر الأسماء لقيل في التثنية (ذوان) كما قالوا:عصوان ورجوان، ولم يقل ذلك أحد والهاء حرف تنبيه، وقد ذكر النحويون فيما حُذِفَ لامه مثل (أبوان) فردَّتْه التثنية إلى أصله،وقالوا في (ذو) التي بمعنى (صاحب): هو ذو علمٍ، وهما ذوا علمٍ،كما في قوله تعالى ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [٢٨]. أمّا في اسم الإشارة فقالوا (ذان) كما في قوله تعالى ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [٢٩]،فإنّ (ذا) التي بمعنى (صاحب) هي اسم معرب فيتغير إعرابه في الرفع والنصب والجر، فيقال: ذو وذا وذي، أمّ أسماء الإشارة والموصولات والضمائر فهي مبنية وليست معربة، وأسماء الإشارة لم تفرّق لا في واحد ولا في جمعه بين حال الرفع والنصب والجر، فكذلك في تثنيته، فقالوا في المثنى: قال هذان رفعاً، وأكرمتُ هذان نصباً ومررتُ بهذان جراً، فهذا هو القياس فيه أن يلحق مثناه بمجموعه ومفرده لا يلحق بمثنى غيره الذي هو معتبر بمجموعه ومفرده، لذلك فالذين ذكروا أ،ذ

---

[٢٧] - ينظر معاني القرآن للفراء ١٨٤/٢

[٢٨] - الرحمن / آية ٤٨

[٢٩] - القصص / آية ٣٢

مقتضى العربية أن يُقال: (إنّ هذين) فليس معهم بذلك نقل عن اللغة المعروفة في القرآن والتي نزل بها، بل أن يكون المثنى مبنياً في الأحوال الثلاثة على لفظ واحد كمفرد أسماء الإشارة ومجموعها [٣٠] .

وأضاف ابن تيمية أنّ الأسماء الموصولة تجري هذا المجرى، في (اللذان) هو بالألف في الأحوال الثلاثة ؛ لأنّه اسم مبني والألف فيه بدل الياء في (الذين) وتشبيه (اللذان) به أولى، وقد ذكر ابن كيسان أنّ المبهم لا يظهر فيه الإعراب فجعل مثناه كمفرده ومجموعه وهذا يأتي في الموصول [٣١].

ورُبَّ سائل يسأل: قد ورد في القرآن الكريم (اللذان) منصوبة على الياء كما في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [٣٢]، ولم يقل (اللذان) كذلك وردت (هاتان) منصوبة على الياء في قوله تعالى ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [٣٣] ، ولم يقل (هاتان)، فالجواب على أنّه قد يُفَرَّقُ بين اسم الإشارة والموصول بأنّ اسم الإشارة على حرفين (ذا) بخلاف الموصول، فالاسم هو (اللذا) وهو مكوّن من خمسة حروف وفي الجمع تُكْسَر الذال وتُفْتَح النون، وفي التثنية تُفْتَح الذال وتُكْسَر النون في النصب والجر، وهذا معلوم بالضرورة، فالاسم الصحيح إذا

---

٣٠ - ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥٨/١٥-٢٦٠

٣١ - المصدر نفسه، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤٦/٢

٣٢ - فصلت / آية ٢٩

٣٣ - القصص / آية ٢٧

جُمِعَ جمع مذكر سالم فنون الجمع تُفْتَح ويُكْسَر الحرف الذي قبلها،في حالتي النصب والجر، وفي التثنية كُسِرَت نون التثنية وفُتِحَ ما قبلها في الأحوال الثلاثة، وهذا يبيّن أنّ الأصل في التثنية هي الألف، وعلى هذا يكون في إعرابه لغتان جاء بهما القرآن: فتارة يجعل كـ(اللذان) وتارة أخرى كـ كاللذين) ولكن في قوله تعالى ﴿ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ كان هذا أحسن من قوله (هاتان) لِما من اتّباع لفظ المثنى بالياء فيهما [٣٤] .

أمّا قوله (إنْ هذانِ لساحران) كان مجيئه بالألف أحسن في اللفظ من قولنا (إنّ هذين لساحران) ؛ لأنّ الألف أخفّ من الياء، ولأنّ الخبر بالألف، فإذا كان كلٌّ من الاسم والخبر بالألف كان أتمَّ مناسبة ، وهذا معنى صحيح وليس في القرآن ما يشبهه هذا من كلّ وجه وهو بالياء، فتبيّن أنّ هذا المسموع المتواتر ليس في القياس الصحيح ما يناقضه، لكن بينهما فروق دقيقة، والذين استشكلوا هذا إنّما استشكلوه من جهة القياس لا من جهة السماع، ومع ظهور الفرق يُعْرَفُ ضعف القياس، فاللفظ (هذان) مبنيٌّ لدلالته على معنى الإشارة، فالأصل في المبني أن لا تختلف صيغه، فضلاً عن مناسبة ألف (هذان) لألف (ساحران) ، وقد اختاره ابن الحاجب من النحويين[٣٥] .

---

٣٤ - ينظر مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦١-٢٦٢

٣٥ - ينظر مغني اللبيب / ٥٨، مجموع الفتاوى ١٥ / ٢٦٣

القراءة الثالثة

وقرأت عائشة (رضي الله عنها)، وعثمان والحسن والأعمش وسعيد بن جبير وأبو عمرو وعيسى بن عمر (إنّ هذين لساحران)[٣٦]، وهذه القراءة لا إشكال فيها، فهي الجارية على قواعد لغة العرب في المثنى الذي يكون في حالة الرفع بالألف، وفي حالتي النصب والجر بالياء، فذكر أبو زرعة أنّ أبا عمرو مسغنٍ عن إقامة الدليل على صحة هذه القراءة في العربية [٣٧] . وكان أبو عمرو إماماً في العربية، فقرأ بما يعرف من لغة العرب والجارية على ألسنة الناس، وقد رويَ عنه أنّه قال: (إنّي لأستحي من الله أن أقرأ (إنْ هذان)؛ وذلك لإنّه لم يرَ لها وجهاً من جهة العربية، إلّا أنّ هناك مَنْ خطّأ أبا عمرو في هذه القراءة لمخالفتها رسم المصحف [٣٨].

---

[٣٦] - معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٣، السبعة في القراءات /٤١٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٩٩/٢، النشر في القراءات العشر ٣٢١/٢

[٣٧] - ينظر حجة القراءات / ٤٥٤

[٣٨] - ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٠/٣، مجموع الفتاوى ٢٥٠/١٥

القراءة الرابعة

وهذا ابن كثير شيخ القراء في مكة المكرمة في زمانه قد قرأ (إنْ هذانِّ لساحران) بتخفيف النون من (إنْ) وبتشديد النون من (هذانّ) [٣٩] ، فجُعِلَتْ (إنْ) في هذه القراءة مخففة من الثقيلة، و (هذانّ) اسم إشارة مبتدأ و(لساحران) خبره، واللام وُضِعَتْ للفرق بين (إنْ) النافية، و (إنْ) المخففة من الثقيلة [٤٠]، وقد تكون (إنْ) بمعنى (ما)،واللام بمعنى (إلّا) وهذا التقدير على مذهب الكوفيين، والتشديد الذي في نون (هذان) عوضٌ عن الألف المحذوفة التي كانت في (هذا) فمن العرب مّنْ إذا حذف عوّض، ومنهم مَنْ إذا حذف لم يعوّض فمن آثر تمام الكلمة ولم يعوّض آثر التخفيف[٤١].

٣٩ - التبصرة في القراءات السبع شسش / ٥٩٢، التيسير / ١٥١ / النشر ٣٢١/٢
٤٠ - ينظر البحر المحيط ٦/ ٢٥٥
٤١ - ينظر حجة القراءات لأبي زرعة /٤٥٦

قراءات أخرى شاذة

قــرأ أبي بن كعب (إنْ ذان لساحران)، وتوجيهــها كتوجيه قراءة (إنْ هذان لساحران) [٤٢]، وقرأ عبدالله بن مســعود (إنْ ذان إلّــا ساحران) على معنى (ما هذان إلّا ساحران) على رأي الكــوفيين[٤٣]، ولعبدالله بن مسعود قــراءة (إنْ هــذان ســاحران) بغيــر لام فــي (ساحران) [٤٤]، وقراءة (أنْ هذان ساحران) بفتح الهمزة فــي (أنْ) وبغير لام في (ساحران) [٤٥] قال ابن قتيبة: وفي مصحف عبــدالله (وأسروا النجوى أنْ هذان ساحران) منصوبة الألف بجعل (أنْ هذانِ) تبييناً للنجوى [٤٦] ، وفي المقتضب للمبرد أنّ ابن مسعود قــرأ (إنّ ذان لساحرانِ) بتشديد النون من (إنّ) [٤٧] ، وقرأ أبي بن كعب (مــا هذانِ إلّا ساحرانِ) [٤٨] ، وذكر أبو حيان أنّه قرئَ (مــا هــذا إلّــا ساحران) كذا بحذف النون من (هذان) [٤٩] ، وورد في مختصر بن خالويه قراءة (هذأنِّ) بالهمز وتشديد النون [٥٠] .

---

٤٢ - إعراب القراءات الشواذ ٧٧/٢، تفسير الرازي ٧٥/٢٢، البحر المحيط ٢٥٥/٦

٤٣ - معاني القرآن للفراء ١٨٤/٢، مختصر ابن خالويه / ٨٨

٤٤ - تفسير القرطبي ٢١٦/١١ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣

٤٥ - معاني القرآن للفراء ١٨٤/٢، تفسير الرازي ٧٤/٢٢، البحر المحيط ٢٥٥/٦

٤٦ - تأويل مشكل القرآن / ٥٢

٤٧ - المقتضب ٣٦٤/٢

٤٨ - زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٢٩٨، المحرر الوجيز لابن عطية ١٠ / ٤٨

٤٩ - البحر المحيط ٦/ ٢٥٥

٥٠ - المختصر في شواذ القراءات / ٢٥

الرأي الراجح

القراءة سُنّة متّبَعة، وتقسيمها على متواترة وشاذة اعتماداً على صحة الإسناد فيها الذي هو شرط للأخذ بها فضلاً عن موافقتها لرسم المصحف، وإخضاعها لوجه مقبول من وجوه العربية، وقاعدة رسم المصحف تقتضي أنّ الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كُتِبَتْ بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر، وإذا كانت الكلمة لا تحتمل أكثر من قراءة واحدة كُتِبَتْ بصورة تحتمل ذلك الوجه أو تلك القراءة فقط، فلو عدنا إلى رسم المصحف العثماني لوجدنا أنّ آية (إنْ هذان لساحران) كُتِبَتْ بلا نقط ولا تشكيل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني (إنْ) و (هذان) ومن غير ألف بعد الذال في (هذان)، ومجيء رسم المصحف على هذه الشاكلة كان صالحاً عندهم لأنْ يُقْرَأَ بالوجوه الأربعة التي وردت بأسانيد صحيحة ومتواترة، والتي ذكرنا عللها وحججها في صفحات سابقة، وهذا إنْ دلَّ على شيء، فإنّه يدلّ على أنّ سلفنا الصالح كانوا في قاعدة رسم المصحف وغيرها أبعد منا نظراً وأهدى سبيلاً. لذلك فإنّ كلّ قراءة لا تخرج عن أركان وشروط صحة قبولها، فهي القراءة التي نختارها ونذهب إليها.

الردّ على الشبهات

إنّ آية (إنْ هذان لساحران) هي من الآيات التي استشكلت على النحويين، فاختلفوا في توجيهها، وذهبوا في ذلك مذاهب عدّة، وقد لجأوا إلى التقدير الذي قد يخدم المعنى من جهة، أو لتقوية الرأي

الذي يذهب إليه النحوي ويختاره من جهة أخرى، واستدل النحاة على ذلك بكثرة اختلاف المروي من القراءات في هذه الآية. لهذا السبب وغيره لجأ المستشرقون وغيرهم ممن كان في قلبه مرض أن يطعن بالقرآن الكريم وقراءاته، فشمّرَ علماؤنا عن سواعدهم وأعدّوا العدّة التي تناسبهم للدفاع عن القرآن، فوجّهوا كلَّ قراءة توجيهاً نحوياً ولغوياً مناسباً يخدم السياق الذي جاءت من أجله الآية، ويكون جارياً على ألسنة العرب، فحققوا بذلك شرطاً مهماً من شروط صحة القراءة كونها وافقت وجهاً من وجوه العربية فساعد ذلك على ردّ شبهة الخطأ في الإعراب، ولا يترك مجالاً للطعن فيها فإنّ الذي يطعن بقراءة متواترة مروية عن كبار الصحابة والتابعين، فإنّما يطعن بالقرآن نفسه الذي ثبت بخبر الآحاد ونقله لنا سلفنا الصالح، فكانوا يتّصفون بالعدالة والضبط، رواة ثقات، يتحرّون الدقة والأمانة في النقل.

وقضية جمع القرآن تشهد على ذلك، الجمع الذي اعتمد مبدأ التحقيق العلمي، وكان ذلك في زمن أبي بكر الصديق (ﷺ)، وأشرف عليه زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، فأول مَنْ جمع القرآن بين دفتين وأطلق عليه لفظ (المصحف) هو أبو بكر الصديق (ﷺ) والكتب التي أُلِّفَتْ بعد هذا الزمان شاهدة على ذلك، فحفظ الله

عز وجل القرآن من أن تضيع آياته فقال سبحانه وتعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٥١] .

ومن الأمور المهمة التي تدفع الشبهات وتردّها أنّ هناك من القراء مَنْ لهم باع طويل في النحو واللغة أمثال أبي عمرو بن العلاء وعلي بن حمزة الكسائي، فهم ناقلون لهذه اللغة، ومشاركون للنحويين في نقلها، فإجماعهم هو إجماع النحويين، وحجة النحويين حجتهم، ولا يجتمع أهل النحو وغيرهم إلّا بما ثبت بالرواية والنقل ؛ لأنّهم نقلوها عمَّنْ ثبتت عصمته من الغلط في مثله، وهو الذي فعله القراء فلا مجال للخطأ في القراءة ، فكان الرجوع إلى القراء أولى من هذا الباب.

أمّا ما نقله العلماء من الأحاديث التي رُوِيَتْ عن عائشة وعثمان وسعيد بن جبير (رضي الله عنهم) والتي احتجّ بها المستشرقون وغيرهم ممن أراد الطعن في القرآن وقراءاته، فسنورد هذه الأحاديث بنصها، ثم الردّ عليها ونقضها عقلاً وشرعاً:

الحديث الأول / قال أبو عبيد [٥٢]: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة (رضي الله عنها) عن لحن القرآن، عن قوله (إنْ هذان لساحران) وعن قوله (والمقيمين

[٥١] - الحجر / آية ٩

[٥٢] - فضائل القرآن ٢/ ١٠٣، وينظر المصاحف لابن أبي داود ١/ ١٢٧

الصلاة والمؤتون الزكاة) [٥٣]، وعن قوله (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) [٥٤] فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكُتّاب أخطأوا في الكِتاب.

الحديث الثاني / قال أبو عبيد [٥٥]: حدثنا حجاج عن هارون بن موسى قال: أخبرني الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: لَمّا كُتِبَت المصاحف عُرِضَتْ على عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: لا تُغَيِّروها، فإنّ العرب ستُغَيِّرها، أو قال: ستُعْرِبُها بألسنتها.

الحديث الثالث / قال السيوطي [٥٦]: أخرج ابن أشتة من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير أنّ كان يقرأ (والمقيمين الصلاةَ) ويقول:هو لحن من الكاتب.

حكم السيوطي على إسناد الحديث الأول بالصحة على شرط الشيخين،وفي هذا الحكم نظر، من حيث أنّ أبا عبيد رواه عن أبي معاوية الضرير واسمه محمد بن خازم التميمي [٥٧]. وأبو معاوية الضرير الكوفي روى عن كثير، وممن روى عنهم الأعمش وهشام بن عروة، وقد وثَّقه العلماء في الأعمش، ودليل ذلك أنّ يحيى بن معين سُئِلَ عن أثبت أصحاب الأعمش فقال: أبو معاوية بعد شعبة

---

[٥٣] - النساء / آية ١٩٢

[٥٤] - المائدة / آية ٦٩

[٥٥] - فضائل القرآن ٢/ ١٠٣، وينظر المصاحف لابن أبي داود ١/ ١٢٧

[٥٦] - الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٨٤

[٥٧] - تنظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩/ ١٢٠

وسفيان [٥٨]، وقال عنه وكيع: ما أدركْنا أحداً كان أعلم بأحاديث الأعمش من أبي معاوية [٥٩]، ولكنّهم عابوا أحاديثه عن غير الأعمش، فقال ابن خراش: صدوق وهو في الأعمش ثقة، وفي غيره فيه اضطراب [٦٠]، وقال أبو داود: قلت لأحمد كيف حديث أبي معاوية عن هشام بن عروة قال فيها أحاديث مضطربة يرفع فيها أحاديث للنبي (ﷺ)، لذلك نجد البخاري يعتمد روايته عن الأعمش ويحتج بها، أمّا روايته عن هشام بن عروة فلم يذكرها إلّا في المتابعات. وهذا الإضطراب يجعل الرواية غير صالحة للإحتجاج، ولا أدري بعد هذا كيف يكون إسنادها صحيحاً على شرط الشيخين.

وقد علّق السيوطي على الرواية المنقولة عن عثمان بقوله: (إنّ ذلك لا يصح عن عثمان، فإنّ إسناده ضعيف مضطرب منقطع، وأنّ عثمان جعل المصحف الذي جمعه أساساً للناس يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ؟!) [٦١]، فضلاً عن ذلك أنّ هذا الحديث يتناقض مع ما ورد في الأثر من أنّ عثمان (ﷺ) كان شديد الحرص على متابعة كل لفظ في القرآن الكريم ويتحرى عن ذلك ويتوخى الضبط والإتقان، فقال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبدالله بن المبارك قال: حدثني أبو وائل شيخ من أهل

---

٥٨ - ينظر تهذيب التهذيب ٩ / ١٢١

٥٩ - المصدر نفسه، وينظر تهذيب الكمال ٢٥ / ١٢٤ - ١٢٥

٦٠ - تهذيب التهذيب ٩/ ١٢١

٦١ - الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٨٤

اليمن عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها (لم يتسنَّ)، وفيها (لا تبديل للخلق الله)، وفيها (فأمهل الكافرين) قال: فدعا بالدواة فمحى إحدى اللامين وكتب (لا تبديل لخلق الله)[٦٢]،ومحى (فأمهل) وكتب (فمهِّل) [٦٣]، وكتب (لم يتسنَّه) [٦٤]، فألحق فيها الهاء [٦٥].

أمّا الرواية التي نُقِلَتْ عن سعيد بن جبير (ﷺ) ففيها نظر أيضاً، وبيان ذلك أنّ العلماء قد خرّجوا قراءة (والمقيمين الصلاةَ) في قوله تعالى﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٦٦]،من وجوه عدّة كلّها موافقة لما جاء في لغة العرب، فوجه النصب فيها يأتي للمدح، بمعنى: أمدح المقيمين أو أخص المقيمين الصلاة، وقد يكون المعنى، واذكروا المقيمين الصلاة [٦٧]، والنصب على المدح لا يأتي في الكلام البليغ إلّا لحكمة، والحكمة هنا – والله أعلم – هي إظهار مزية الصلاة، كما أنّ تغيير الإعراب في كلمة بين

---

٦٢ - الروم / آية ٣٠
٦٣ - الطارق / آية ١٧
٦٤ - البقرة / آية ٢٥٩
٦٥ - فضائل القرآن ١ / ١٠١-١٠٢، وينظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣١، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٤٤/١
٦٦ - النساء / آية ١٦٢
٦٧ - ينظر معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ١/ ٢٦٠

أمثالها ينبّه الذهنَ إلى وجوب التأمل فيها ويهدي إلى التفكير لاستخراج مزيتها وهو من أركان البلاغة [٦٨] ، وقيل إنّ الياء في (والمقيمين) للجر، فيكون التقدير: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين، وقد يكون عطفاً على الضمير المجرور في (إليك)،أي:يؤمنون بمب أُنْزِلَ إليك وإلى المقيمين الصلاة وهم الأنبياء[٦٩] ، وقد تكون كلمة اللحن التي وردت في حديث سعيد بن جبير أريد بها القراءة واللغة والوجه وهو الأرجح، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [٧٠] ودليله أيضاً أنّ سعيد بن جبير نفسه قرأ (والمقيمين) على النصب، ولو كان يريد باللحن الخطأ ما رضي لنفسه هذه القراءة [٧١] .

لذلك غلط مَنْ قال أنّ في بعض الألفاظ أنّها غلط من الكاتب ولأسباب أخرى منها تعدد المصاحف، واجتماع جماعة على كل مصحف ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين الذين هم من قرّاء القرآن الكريم وحفّاظه رواية ومشافهة، وقد كتب المصحف جماعة هم كُتّاب الوحي، ووقف على هذه الكتابة خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقلّ عدد منهم، فلو قُدِّرَ أنّ الصحيفة كان فيها لحن، وقد كتب منهم جماعة بلسان قريش، ولم يكن

٦٨ - ينظر إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ٢/ ٣٧٨
٦٩ - ينظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين لأبي سليمان الجمل ١/ ٤٤٦-٤٤٧
٧٠ - محمد / آية ٣٠
٧١ - ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٢٦٨

لحناً،وامتنعوا أن يكتبوه إلّا بلسان قريش على وفق ما رُوِيَ عن عثمان (ﷺ)، فكيف يتّفقون أن يكتبوا (إنْ هذان) و(المقيمين الصلاة) و (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون)، وهم يعلمون أنّ ذلك لحن ؟!، علاوة على أنّ الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون شيئاً يصلحه غيرهم، قال الزجاج: (وقال بعضهم: في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها، وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جداً؛ لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله (ﷺ) وهم أهل اللغة وهم القدوة، وهم قريبو العهد بالإسلام، فكيف يتركون شيئاً في كتاب الله يصلحه غيرهم) [٧٢]، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً ليصلح مَنْ بعده، ولو أنّ عثمان قدّر ذلك فيه، فإنّما رأى ذلك الغلط في نسخة واحدة، فأمّا أن تكون جميع المصاحف اتّفقت على الغلط وعثمان قد رآها جميعاً وسكت عنها فهذا ممتنع عقلاً وشرعاً، وهذا لا يخرج من أمّة قضى الله عز وجل أنّها لا تجتمع على ضلالة، بل يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر [٧٣] .

وخلاصة القول إنّ هذه الشبهات وغيرها مدفوعة بالأدلة النقلية الثابتة، والأدلة العقلية على أنّ جميع القرآن الذي أنزله الله عز وجل وأمر بإثباته ورسمه، ولم ينسخه ناسخ في تلاوته ن هو الذي شمله مصحف عثمان (ﷺ) ولم ينقص منه شيء ولم يزد فيه شيء، بل إنّ

---

٧٢ - معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٣١

٧٣ - ينظر مجموع الفتاوى ١٥ / ٢٥٢- ٢٥٤

ترتيبه ونظمه كلاهما باقٍ ثابتٍ على ما نظمه الله عز وجل ورتّبه رسول الله (ﷺ) بأمر من الله سبحانه وتعالى وبوحي منه تعالى من دون تقديم متأخر أو تأخير متقدم، وقد أخذه مَنْ جاء بعد الصحابة من التابعين لهم بإحسان، فكانوا خير خلف لخير سلف.

الخاتمة

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نضع خاتمة لهذه الدراسة أو غيرها من الدراسات، فالبحث فيها دائم لا ينقطع، وروافدها غزيرة لا تنضب، وهي كثيرة العطاء، لكل مَنْ يريد أن يرتوي من معانيها وألفاظها، ومن جوانبها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية، ليرتقي ببحوثه إلى مستوى الرصانة في البحث والإستدلال، وهذا أمر طبيعي، فمنبعها القرآن الكريم وقراءاته، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من لدن حكيم حميد، وما آية ﴿ إنْ هذان لساحرانِ ﴾ إلّا جوهرة من تلك الجواهر القرآنية التي تشع ببريقها ولمعانها، فتضيء ما حولها، فقد قُرِئَتْ هذه القراءة بقراءات عدّة أربع منها متواترة، والأخرى شاذة، وذكرنا علل القراءات المتواترة وحججها مقرونة بآراء النحويين واستدلالهم، مع مناقشة موجزة لهذه الآراء، فكلّها صواب، ولكن بيّنا الأرجح منها لما نمتلك من الأدلة على ذلك الترجيح.

وكل هذه القراءات في هذا الحرف موافقة للغة العرب حتى الشاذة منها، الأمر الذي لا يترك مجالاً للطعن فيها، ولم نحتج للقراءات الشاذة ؛ لأنّ في ذلك تكراراً للوجوه التي ذكرناها في القراءات المتوترة، وبيّنا الضابط الرئيس في الاختيار بعد صحة السند، ألا وهو موافقة رسم المصحف العثماني، فلا بد لكل قراءة أن تكون موافقة

لهذا الرسم الذي حفظه الله لنا بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وذكرنا أيضاً كيف توجّه علماؤنا جزاهم الله خيراً للدفاع عن القرآن الكريم من خلال الردّ على الطاعنين الذين يدّعون وجود اللحن والخطأ في الكتاب العزيز من خلال أحاديث موضوعة ذكر العلماء المحدّثون وغيرهم أنّها منقطعة ومضطربة لم ترد على لسان مَنْ رُوِيَتْ عنهم. فأدعو علماءنا وباحثينا بما تجود به أقلامهم وأناملهم أن يتصدّوا لهذه الخزعبلات ويدافعوا عن دستور الأمة الإسلامية، و ليبيّنوا للناس الطريق القويم من خلال هذا الباب، فهم المسؤولون عن ذلك أمام الله عز وجل، اللهم علِّمْنا ما ينفعنا، وانفَعْنا بما علَّمْتنا إنّك سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة/ للعلامة الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ) – رواه وصححه وعلّق عليه علي محمد الضباع – دار الندوة الجديدة – مصر – (د.ت).

الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) – دار الفكر – بيروت – (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

الإصابة في تمييز الصحابة / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – تح علي محمد البجاوي – ط١ – دار الجيل – بيروت- (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

إعراب القرآن الكريم / لأبي جعفر اسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) – تح د. زهير غازي زاهد – مطبعة العاني – بغداد – (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).

إعراب القرآن الكريم وبيانه / لمحيي الدين الدرويش – دار ابن كثير – (د.ت).

إعراب القراءات الشواذ / لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) – دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز – ط١ – عالم الكتب – بيروت – (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

الأمالي الشجرية/ هبة الله بن علي بن حمزة المعروف بابن الشجري (ت٤٥٧هـ) – تح محمود الطناحي – ط٢ – دار المعرفة – بيروت – ١٩٩٢م.

البحر المحيط/ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) – ط٢– دار الفكر للطباعة – بيروت – ١٩٧٨ م.

البرهان في علوم القرآن / لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ) – تح محمد أبو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٩٥٧م.

البيان في غريب إعراب القرآن/ لأبي البركات ابن الأنباري (ت٥٥٧هـ) – تح د.طه عبد الحميد طه – دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٦٩م.

تأويل مشكل القرآن/ لعبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)– شرحه ونشره السيد أحمد صقر – ط٣ – دار الكتب العلمية – بيروت – (١٤٠١هـ– ١٩٨١م).

التبصرة في القراءات السبع / لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) – تح د. محمد غوث الندوي – ط٢ – الدار السلفية – الهند – (١٤٠٢هـ–١٩٨٢م).

تهذيب الكمال / ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي – تح د. بشار عواد معروف – ط١ – مؤسسة الرسالة – بيروت – (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني – ط١- دار الفكر – بيروت – (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

التيسير في القراءات السبع / لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) – تح أوتوبرتزل – مطبعة الدولة – إستانبول – ١٩٣٠ م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.

الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) – تح أحمد عبد العليم البردوني – ط٢- دار الشعب – القاهرة – ١٣٧٢هـ.

حاشية الجمل على تفسير الجلالين/ لأبي سليمان الجمل – مطبعة عيسى البابي الحلبي- (د.ت).

الحجة في القراءات السبع / لابن خالويه (ت٣٧٠هـ) – تح د. عبد العال سالم مكرم – ط٥- مؤسسة الرسالة – (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

حجة القراءات / لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت في المئة الرابعة) – تح سعيد الأفغاني – ط٢- مؤسسة الرسالة – بيروت – (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

الحجة للقراء السبعة / لأبي علي النحوي الحسن بن أحمد (ت٣٧٧هـ) – وضع حواشيه وعلّق عليه كامل مصطفى الهنداوي – ط١– دار الكتب العلمية – بيروت – (١٤٢١هـ–٢٠٠١م).

خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب / لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) – تح عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩م.

الدر المنثور / لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م.

ديوان الأعشى (ميمون بن قيس) / حققه وقدّم له المحامي فوزي عطوي – دار صعب – بيروت – ١٩٨٠م.

ديوان أمية بن أبي الصلت / المطبعة الوطنية – بيروت – ١٣٥٣هـ.

زاد المسير في علم التفسير / لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) – ط٣– المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٠٤هـ.

السبعة في القراءات / لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) – تح د.شوقي ضيف – ط٢ – دار المعارف – القاهرة – (١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م).

سر صناعة الإعراب / لأبي الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) – يح مصطفى السقا وآخرون – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ١٩٧٤ م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / لبهاء الدين عبدالله ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) – تح محمد محيي الدين عبد الحميد – ط٤– مطبعة السعادة – مصر – (١٣٨٤هـ–١٩٦٤م).

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب / لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) – تح عبد الغني الدقر – الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا – (١٤٠٤هـ–١٩٨٤م).

شرح المفصل / لموفق الدين ابن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) – مكتبة المثنى – القاهرة – (د.ت).

الصحاح / لاسماعيل ابن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) – تح أحمد عبد الغفور عطار – مطابع دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٩٥٦م.

فضائل القرآن ومعالمه وآدابه / لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) – دراسة وتحقيق أحمد عبد الواحد الخياطي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية – (١٤١٥هـ–١٩٩٥م).

الكتاب / لسيبويه أبي عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) – تح وشرح عبد السلام هارون – ط٣– مكتبة الخانجي – القاهرة – (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م).

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / لمكي القيسي – تح محيي الدين رمضان – ط٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت – (١٤٠١هـ–١٩٨١م).

لسان العرب / لجمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ) – دار صادر – بيروت– ١٩٦٨م.

مجموع الفتاوى (كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية) / لأبي العباس أحمد تقي الدين بن تيمية – تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي – ط٢– مكتبة ابن تيمية – د.ت).

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لأبي محمد بن عطية (ت٥٤١هـ) – تح أحمد صادق الملاح – مطابع الأهرام التجارية – القاهرة – ١٩٧٤م.

المختصر في شواذ القراءات / لابن خالويه (ت٣٧٠هـ) – تح برجشتراسر – دار الهجرة – (د.ت).

مشكل إعراب القرآن / لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي – تح د. حاتم صالح الضامن – دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٩٧٥.

المصاحف / لأبي بكر ابن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ) – تح محمد بن عبده – دار الفاروق الحديثة – مصر – (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

معاني القرآن / لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) – تح محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي – ط٢- عالم الكتب – بيروت- ١٩٨٠م.

معاني القرآن الكريم / لأبي جعفر النحاس /تح د. يحيى مراد – دار الحديث – القاهرة – ٢٠٠٤ م.

معاني القرآن وإعرابه / لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) – تح د. عبد الجليل عبدة شلبي – ط٢- عالم الكتب – بيروت –(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / لابن هشام الأنصاري – تح د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله – ط٦- دار الفكر – بيروت- ١٩٨٥ .

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) / للإمام محمد فخر الدين الرازي (ت٦٠٤هـ) – دار الفكر – بيروت – (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م).

المقتضب / لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) – تح محمد عبد الخالق عضيمة- عالم الكتب – بيروت- (١٣٨٨هـ-١٩٦٣ م).

مناهل العرفان في علوم القرآن / لمحمد عبد العظيم الزرقاني – ط١ – دار الفكر – لبنان – (١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م).

الموضح في وجوه القراءات وعللها / للإمام نصر بن علي بن محمد المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ) – تح ودراسة د. عمر حمدان الكبيسي – ط٣- مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر – مصر – (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

النشر في القراءات العشر / لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) – أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – (د.ت).